لا أعتقد أنّ سماحًا كان يطمح إلى أكثر من ذلك. فهو بثباته على موقفه، معزّزًا بالموقف الرائع لوالدته السيّدة عايدة مطرجي (أنظرْ ردّها المفحِمَ على «بيان فخري كريم،» حين رَفضتْ «تكرّمَه عليها» بإخراجها من الدعوى)، وبدعم شرفاء الثقافة العربيّة، قد قدّم أروعَ مثالٍ على المثقّف العضويّ المهموم بقضايا أمّته. إنّ هذا النموذج الأخلاقيّ المبدئيّ الشجاع هو ما تبحث عنه الأجيالُ العربيّةُ الجديدة، الكافرةُ بـ «مثقّفي السلطان» وبانتهازيّة الثوريين السابقين الذين لحسوا مبادئهم السالفةَ واستبدلوها بمبدإ «الدُنيا مع الواقف (بمعنى القويّ).» وهنا تحديدًا يتجلّى انتصارُ مجلّة الآداب، قلعةِ الثقافة التقدّمية العروبيّة. ففي الوقت الذي كان يَطْمح فيه أعداءُ الآداب إلى «اجتثاثها كثقافة،» كما قال رشاد أبو شاور، ها هي تنجح، بفضل صمود أصحابها (لا أموالهم)، وبفضل إصرارهم على الكلمة النقديّة الحرّة، في استنهاض همَمٍ تعبتْ، وفي استقطاب شبابٍ جديدٍ يبحث عن مثقّفين لم يضيّعوا البوصلةَ ولا تخلّوْا عن مبادئهم: أقصد المثقّفين والمثقّفات الذين مازالوا يدافعون بشجاعةٍ عن أحلامهم/أحلامِنا المشروعة، في نهضةٍ عربيّةٍ حداثيّةٍ متحرّرةٍ من قيود الاستبداد والاستغلال ومن ربقة الاستعمار والتبعيّة.

ختامًا، أغتنم الفرصة لأدعو، من على صفحات هذا المنبر، الذي يعتزّ به كلُّ التقدّميين العرب، إلى أن يكون الردُّ على إدانة مجلة الآداب بـ «القدح والذمّ» على قدر ما اقترفَتْه هذه الأخيرةُ من «ذَنْب.» ولذلك أدعو إلى المزيد من التحدّي، وإلى الانخراط الجماعيّ في فضح رموز ثقافة الخنوع وتبرير الهزيمة والتخلّي عن الكرامة. فليكن ردُّنا على مَن يريد إخمادَ صوتِ الآداب الملَعلِع بأن نعتبرها ملْكًا لنا جميعًا، وبإطلاق حملة اشتراكاتٍ سنويّةٍ في هذه المجلّة الصامدة المناضلة.

لن تَسْقط الآداب، بل ستبقى كما أرادها مؤسّسُها الراحل سهيل إدريس، وكما حافظ عليها ابنُه سماح. ستبقى كما عبّرتْ عن ذلك مديرتُها المسؤولة، السيّدة عايدة مطرجي، «صوتًا للثورةِ العربيّةِ ضدّ الاستعمار والاستبداد.»

صحافيّ وناشط يساريّ من تونس مقيم في مونتريال،

جريدة القدس العربيّ، ٢٠١٠/٣/٨

❖ ❖ ❖

ليست مجلةً تَنْطق باسم مموّلين من خلف البحار!

هشام البستاني

كلّ التضامن مع مجلة الآداب التي كانت دائمًا منبرًا للثقافة التقدميّة والتنويريّة، ومنبرًا مدافعًا عن العدالة في وجه الاحتلال والاستيطان والعنصريّة. وبينما تروِّج أكثرُ المنابر «الثقافيّة» للأكاذيب الليبراليّة والديمقراطيّة الأمريكيّة والإسرائيليّة، وتقبض لقاءَ ذلك أموالاً طائلةً من مصادرَ مختلفةٍ مرتبطةٍ بهما، اختارت الآداب أن تظلّ صوتًا مستقلاً بحقّ، لا يجامل، ومنبرًا ثقافيّاً عضويّاً يجوع ولا يتنازل للأجندات المعادية.

وكلّ التضامن مع الشجاع سماح إدريس، رئيس تحرير الآداب، الذي لم يفعلْ شيئًا سوى أن أشار بعين المثقف الحقيقيّ إلى مواضع الخلل التي يعرفها الجميعُ، وإلى الحقائق التي يعرفها الجميع. لكنْ يبدو أنّ ذلك اليومَ البائسَ، الذي اعتقدنا بتفاؤلنا الساذج أننا لن نراه ولو انهار كلُّ شيء، قد أتى رغمًا عنّا: إنه اليوم الذي أصبحتْ فيه الخيانةُ موقفًا مقبولاً، بينما يستدعي واجبُ الإشارة إليها (وهو أقلُّ القليل) أحكامًا قضائيّةً بالغرامة وتكميمِ الأفواه.

من الأردنّ، أضمّ صوتي إلى صوت سماح، وأعلن أنني أقول ما قاله سماح. وإنْ كانت هناك من مساءلةٍ قانونيّةٍ لرفض الاحتلال الأمريكيّ للعراق، ولرفض العمليّة السياسيّة العميلة للاحتلال فيه، ولإدانة جميع المتواطئين والمتعاونين والمشاركين في هذه المهزلة التي تسمّى ـ من أجل الخداع ـ «حريّةَ العراق،» فأنا أطلب مساءلتي القانونيّة أيضًا.

سماح إدريس ليس وحدَه، والآداب ليست مجلةً تنطق باسم مموّلين من خلف البحار. لهذا لن نخجلَ من الوقوف معهما من دون تردّد.

طبيب أسنان وكاتب وقاصّ من الأردن،

رسالة شخصيّة في ٢٠١٠/٣/١٠

❖ ❖ ❖